

# شرح القواعد الأربع

لشيخ الإسلام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله تعالى -

لفضيلة الشيخ

صالح بن سعد السحيمي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

[شريطين مفرغين]

أحد هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

شرح سنة ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين.

وبعد؛ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

[المتن]

بسم الله الرحمن الرحيم

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَنَّ: إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

[الشرح]

هذه المقدمة العظيمة التي افتتح بها الشيخ وهي: الدعاء، وهذه سنة؛ أن يدعو المسلم بين يدي درسه أو حديثه أو خطبته أو في كتابه أو في ختامه، والرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعل هذا؛ وكان يدعو للمسلمين، وكان يوجههم إلى ما فيه الخير، فكان الداعية أو الشيخ أو العالم يبدأ بمثل هذه الدعوات المباركة؛ وهو سؤال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يتولاه أينما كنت، فمن تولاه الله فلا غالب له، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ [محمد: ١٧]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، فحسبك أن يكون الله وليك ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وولاية الله -عز وجل- لا تنال إلا باتباع السنة، واتباع هدي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تُنال ولاية الله بغير ذلك، لا تنال بالممارسات الرياضية الصوفية، ولا تنال بتكليف نفسك ما لا تطيق مما لم يأمر به الله، ولا ما لم يبينه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما يتدعه المتدعون، ويروّجه المروجون، إنما تنال ولاية الله بالسَّير على هدي كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم دعا بـ (وَأَنْ يَجْعَلَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ)، ومن رزقه الله البركة فحسبه بها من بركة، فنسأل الله أن يجعل لنا ولكم نصيباً من هذه الدعوات المباركة التي بدأ بها الشيخ.

ثم دعا بدعوة ثالثة، وهي أن يجعلك الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أخي المؤمن (مَنْ: إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرًا، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ)، هذه الكلمات الثلاث هنّ عنوان سعادة البشر، أيّ بشر على وجه الأرض إذا لم يتصف بهذه الصفات الثلاث فهو شقي.

إذن عنوان السعادة: الشكر عند النعماء، والصبر عند البلاء، والاستغفار من الذنب، هذه عنوان السعادة، فينبغي للمسلم أن يجتهد في أن يكون كذلك.

إذا رزقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نعمة شكر الله بالاستقامة على طاعته والعمل بما يُرضيه، وأعظم نعمة يجب أن نشكر الله عليها هي أن هدانا للإسلام، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والشكر سبب لديمومة النعمة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم ١٠٧]، فالشكر إنما يكون بامتنال أوامر الله، واجتناب نواهيه، هذا هو دليل الشكر.

قال: (وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرًا) وصف الله المؤمن بوصف عظيم في حال السراء والضراء، في حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»،<sup>(١)</sup> فلا بد من الشكر عند النعماء، والصبر عند الضراء، ولأهمية الصبر فإن منزلته كمنزلة الرأس من الجسد، ولذلك ذكره الله في القرآن في أكثر من تسعين آية، لذلك فإنه لا بد من الصبر على طاعة الله، ولا بد من الصبر عن معصية الله، ولا بد من الصبر على أقدار الله، وهذه أنواع الصبر الثلاثة التي لا بد أن يتحلى بها المؤمن.

قال: (وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ) من طبيعة البشر الذنوب، كل البشر يذنبون، وتصدر منهم الذنوب، والعصمة للأنبياء -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فإنهم لا تصدر منهم الكبائر، والكمال لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وحده؛ لكن المؤمن الحق هو الذي إذا أذنب استغفر، وانظر ما وصف الله به المؤمنين في آل عمران ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

(١) مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (٢٩٩٩).

الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ ﴿الشاهد﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴿آل عمران: ١٣٣-١٣٦﴾، الذنوب من طبيعة البشر ((كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون))،<sup>(١)</sup> ويقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أيضا: ((لو لم تذنبوا لخلق الله أقواما يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم))<sup>(٢)</sup> فالذنوب من طبيعة البشر؛ ولكن المصيبة هي الإصرار على الذنب. أما الذي صدر منه شيء فعليه أن يرجع إلى الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فإذا أذنبت يا أخي العبد ارجع إلى ربك، تذكر أن لك ربا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه يغفر الذنب ويقبل توبة التائبين، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ [الزمر: ٥٣].



### [المتن]

اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله [وحده] مخلصاً له الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحديث إذا دخل في الطهارة. فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك: معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك

<sup>(١)</sup> سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٩)، حديث رقم (٢٤٩٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١).

قال الشيخ الألباني: حسن.

<sup>(٢)</sup> مسلم: كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، حديث رقم (٢٧٤٨).

بالله الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

### [الشرح]

هذه مقدمة للقواعد التي سيبينها الشيخ فذكر الحنيفية التي هي ملة إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥)﴾ [البينة: ٥٠]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾ [النحل: ١٢٠]، والحنيفية هي الميل إلى طريق الهدى والسعادة، وهو الميل إلى الاستقامة وما يرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وحقيقتها أن تعبد الله مخلصا له الدين، وهذا لا يتحقق إلا بأمرين:

• أفراد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بالعبادة.

• ونبذ عبادة الطاغوت.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ومعلوم أن الحكمة من خلق الجن والإنس إنما هي عبادة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وهذه العبادة لا تتحقق إلا بأن تُصرف كلها لوجه الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وأن يفرد الله - عز وجل - بها، وهذا لا يتحقق إلا بالبعد عن الشرك؛ لأن الشرك ضد العبادة، فلا يتحقق إلا بالبراءة من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، فلا بد من أن يفرد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بالعبادة، ولا يتحقق ذلك إلا بالسلامة من الشرك، والشرك قد يكون أكبر وقد يكون أصغر، وقد يكون خفيا وقد يكون جليا، وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا، وقد يكون في الربوبية، وقد يكون في الألوهية، وقد يكون في الأسماء والصفات، وهو أخفى من ديبب النمل في ظلمة الليل، كما ثبت ذلك في الأحاديث

<sup>(١)</sup> سورة: النساء (٤٨)، (١١٦).

الصحيحة، فيجب أن نحذر منه، وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام قد خاف من الشرك فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فالشرك أخوف ما يكون على العبد؛ لأن بعض أنواعه أعمال قلبية لا يطلع عليها كل أحد، لا يطلع عليها إلا الله وحده، فبعضه يكون في القلوب؛ قد يكون بالخوف، وقد يكون بالرجاء، وقد يكون بالإنابة إلى غير الله جل وعلا، وقد يكون بالتوكل على غير الله، وقد يكون بالتعلق بغير الله، وقد يكون بكون كل الأعمال نفاقا ورياءً، وكل هذا لا يعلمه إلا الله وحده، ولذلك كان الخوف منه أشد من غيره؛ لأنه ذنب لا يغفره الله لمن مات عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] فعلى المسلم أن يتفقد نفسه وأن يحذر من الشرك؛ لأنه أخطر من جميع الذنوب.

تجد شخصا الآن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلي، ويزكي، ويصوم، ويحج، ويفعل كثيرا من الطاعات؛ لكنه ينقض هذا كله بكلمة أو بفعل، مثال الكلمة لو أن هذا الشخص يصوم وينطق بالشهادتين ويزكي ويفعل جميع الطاعات لو أنه قال لمخلوق -سواء كان نبيا، أو ملكا، أو عبدا، أو صالحا، أو حجرا، أو مدرا، أو شخصا حيا كان أو ميتا-: أغثي يا فلان، أنقذي يا فلان، أنا في حماك يا فلان. فيما لا يقدر عليه إلا الله. ما حكم هذه الأعمال كلها؟ كلها باطلة، كل الذي فعله ذهب هباء منثورا؛ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا (٢٣)﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ [الزمر: ٦٥].

فانتبهوا -يا إخواني- ما أكثر الشراكيات في بلاد المسلمين، اليوم، وهي سبب تفرقهم، وسبب تباعدهم، وسبب فرقة قلوبهم، فضلا عن أجسامهم.

إذا وجدت مسلما له شيخا يطوف به ويحج إليه ويطلب منه المدد ويطلب منه الغوث والعون؛ أنا سمعت في بعض البلاد الإسلامية التي تعاني من الأعداء ومن احتلال الأعداء، ومع ذلك نسمع في إذاعاتهم الاستغاثة بغير الله، فمن أين النصر؟ واحد يقول: أغثنا يا صلاح الدين. صلاح الدين يُغيثك؟ هذا يجعلك لا تغاث، النداء هذا يجعلك لا تغاث. أعطنا يا فلان، يا صلاح الدين، حتى ولو قلت: أنقذي يا رسول الله، هذا الشرك بعينه الذي لا يغفره الله لمن مات عليه.

فانتبهوا يا إخواني، هناك أشياء يتساهل بها الناس، ويظنونها هيئة ﴿وَتَحْسَبُونَهَا هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ

**عَظِيمٌ (١٥)** ﴿[النور: ١٥]، «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين

**المشرق والمغرب»** <sup>(١)</sup> تجد شخصاً يصوم ويصلي ويزكي وإذا به فجأة يسب الله ورسوله، نسمع في بعض البلاد الإسلامية - وللأسف - أول ما تدخل تسمع سب الله ورسوله، من أين تريد النصر والتمكين وأنت تسب الله ورسوله، وتسب دين الله، حتى ولو غضب على سيارته قال لها: يلعن دينك البعيدة. ما هو دينها؟ أولا هي ليس لها دين، فأنت تسب دينك من حيث لا تدري.

فانتبهوا الشرك خطير جداً، لا تظنوا أن المسألة سهلة، بعض الناس يقولون: المسلمون الآن يضطهدون في كل مكان، وأنتم تتكلمون عن الشرك. والله سبب اضطهادهم ما هم فيه من شرك وبدع وخرافات وبعد من الله، سبب اضطهادهم ما هم فيه من إفراط أو تفريط فهم على قسمين:

قسم مفرطون، ملاحدة، متنكرون للدين، لا يأتمرون بالمعروف ولا ينتهون عن منكر، تجدهم يتنكرون لأوامر الله، يستهزئون بالدين، يستهزئون بأهل الدين، يستهزئون بمن يدعو إلى الدين، يسبون أهل الدين، ويتهكمون بهم ويتنكرون عليهم، يستهزئون بالسنة، ينشرون في صحفهم ما يندى له الجبين من الإلحاد والفجور والجون، وسب الله ورسوله، والتهكم بالدين. هذه طائفة.

طائفة أخرى غلت، تستمطر النصر من أصحاب القبور، وتنادي أصحاب الأضرحة، مدد يا فلان، أعطني يا فلان، وهذا لا يعني أن الخير مفقود، الخير موجود والله الحمد، والأمة بخير، والأمة شيبا وشبابا فيهم الخير الكثير؛ لكن يحتاج إلى صدق مع الله - عز وجل - وإلى عودة إلى الله سُبحَّانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فأخطر ما يكون على الأمة هو الشرك، دعاء غير الله، دعاء الموتى في قبورهم، الطواف بقبور الموتى، استمطارهم الرحمة، اللجوء لهم، الخوف منهم، خوف السر؛ عندما يخافون من الموتى في قبورهم أن يفعلوا بهم شيئاً من دون الله سُبحَّانَهُ وَتَعَالَى. هذا هو الشرك.



### [المتن]

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُقَرَّرُونَ بِأَنَّ الله - تعالى - هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يُدْخِلْهُمْ في الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ

<sup>(١)</sup> البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم (٦٤٧٧).

مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، حديث رقم (٢٩٨٨).

يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ [يونس: ٣١].

### [الشرح]

هذه القاعدة الأولى أن الإقرار بتوحيد الربوبية أمر قد فطر به أكثر الناس، حتى المشركين، فقوم نوح، وقوم عاد، وقوم صالح، وكفار قريش، كلهم يقولون بأن الله هو الخالق الرازق. هذه القاعدة الأولى من القواعد الأربع أن كثيرا من المشركين، ومنهم كفار قريش، وكذلك قوم نوح، وقوم عاد، وقوم هود، وغيرهم؛ بل أكثر المشركين كانوا يقولون بتوحيد الربوبية؛ يعني يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم ومالكهم وبارئهم والمتصرف فيهم، وأنه هو الذي يحيي ويميت، ويده الأمر كله، وإليه يرجع أمر كله، غير أن هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، لم يكونوا به مسلمين؛ لأنهم جحدوا لازمه وهو توحيد الألوهية، جحدوا أن يكون الله - تعالى - هو المستحق للعبادة، فلما جحدوه ما نفعهم هذا الإقرار.

قبل ذلك ذكر الشيخ دليلا - والأدلة كثيرة - فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، هذا الإقرار لا ينفعهم وحده؛ لأنهم كفروا بلازمه وهو كون الله معبودا ومستحقا للعبادة، ولذلك كفار قريش ما أنكروا الربوبية؛ بل أنكروا الألوهية قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (٥) [ص: ١٥]، وقد ربط الله بين هذين الأمرين في آية البقرة وغيرها من الآيات؛ في آيتين من سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) [البقرة: ٢١-٢٢]، أولا أمر بالعبادة ثم بين الأدلة التي بها يستحق العبادة ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو الذي بارك في هذا الماء، وهو الذي أنبت النبات ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إذا علمتم أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي أوجد ذلك كله، ورزقكم، وخلقكم، ومنّ عليكم، فعليكم أن تفردوه وحده، وأن لا تجعلوا له أندادا، والند هو المثل والنظير والشبيه، فإن الذي خلقنا ورزقنا وأحيانا ويميتنا، هو القادر على إحيائنا مرة أخرى، هو المستحق

للعبادۃ وحده دونما سواه.

إذن هذه القاعدة خلاصتها أنّ أكثر المشركين يقرّون بتوحيد الربوبية؛ لكنه لا ينفعهم لأنهم ما عبدوا الله؛ بل ذبحوا لغير الله، ونذروا لغير الله، واستغاثوا بغير الله، وتوكلوا على غير الله، وطلبوا الهدى من غير الله، فما أشبه الليلة بالبارحة.

كذلك الآن شأن أصحاب القبور في هذا الزمان؛ الذين يستمطرون منهم الرحمة والمغفرة والبركة؛ بل إنهم وصلوا إلى درجة تفوق شرك الأولين؛ لأنهم - كما سيأتينا في القواعد الأخرى - كانوا يلجؤون لله تعالى في الشدة ويشركون به في الرخاء، وهذا عين التناقض لو كانوا يفقهون. ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن ينصرهم على عدوه وعدوهم نصراً مؤزراً، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يعيدهم إلى تحكيم شرعه، وإلى سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

[المتن]

القاعدة الثانية: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لَطَلِبَ الْقُرْبَةَ وَالشَّفَاعَةَ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].  
ودليل الشفاعة قوله تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان:

- شفاعة منفية.
- شفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والشفاعة المثبتة هي: التي تُطلب من الله، والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[الشرح]

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين.

أما بعد؛ القاعدة الثانية أن هؤلاء الذين أقروا بتوحيد الربوبية وأقروا بأن الله خالقهم ورازقهم ومالكهم والمتصرف في أمرهم، يلجؤون إلى غير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بدعوى أن ذلك الذي يلجؤون إليه يكون شفيعا لهم عند الله، وأنهم يتقربون به ويتوصلون به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويظنون أن ذلك يقرّبهم إلى الله زلفى.

والقسم الآخر يتخذون شيوخهم شفعا؛ يشفعون لهم عند الله.

وقسم ثالث يدعون أن هذا من أنواع التوسل فقط، والتوسل سنتحدث عنه إن شاء الله في غير شرح هذه القواعد، سنتحدث عنه بتفصيل ما يجوز منه وما لا يجوز.

ودليل تعلقهم بدعوى أنه قربة ما حكاها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عنهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣٠]، يعني يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله، بدعوى أن العمل الذي يتقدمون به لا يصل إلى الله إلا عن طريق هؤلاء الشيوخ، ولذلك فإنهم يتخذونهم وسطاء؛ يذبحون الذبائح، ويقدمون القرابين، وينذرون النذور. ويقولون: نحن نريد بها وجه الله؛ لكن هذا الشيخ يوصلها -على حد زعمهم- إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وهذا عين الباطل، وهذا هو الشرك الذي وُجد في قوم نوح ومن جاء بعدهم.

فإذا قلت لأحدهم: لماذا تذبح لصاحب هذا القبر أو الضريح؟ ولماذا تنذر له؟ ولماذا تقيم له الأعياد والموالد؟ ولماذا تضع له الصناديق والستور التي ترمى فيها النقود، ليأكل أولئك الزبانية أموال الناس بالباطل؟

يقول لك: إن هذه الأعمال لا تصل إلى الله إلا عن طريق هذا الشيخ، وقد غرَرَ في أذهانهم بعض طواغيت الطرق أن من لم يتخذ شيخا بينه وبين الله، فإن عمله لا يصل إلى الله، فيقولون: من لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان، فنحن نقول له: من اتخذ شيخا يعبد من دون الله، ويتوسل به، ويستشفع به، وينذر له، ويذبح له، هذا هو الذي شيخه الشيطان.

وجعلوا الإسلام طرقا وأحزابا وشيعا، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالإسلام جماعة واحدة لا جماعات، وطريق واحد لا طرقا، وحزب واحد لا أحزابا، وأمة واحدة لا أمم، ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ومن جَوَّز تعدد الجماعات في الإسلام فقد أعظم على الله الفرية، فلا يجوز اتخاذ جماعات متناحرة، كل واحدة تحتط لها طريقا معينا تتعبد عليه، ومن أعجب استدلالهم ولعبهم بالنصوص الشرعية استدلالهم بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَلِّوْا اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا سَقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، ما المقصود بالطريقة؟ الطريقة هي الإسلام؛ هدي الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأما أن يُستدل بهذا على جواز تعدد الطرق، فإن هذا من أعظم الافتراءات على الله، ومن أعظم التحريف للقرآن.

والصنف الثاني يعدون شيوخهم للشفاعة، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿يونس: ١٨﴾، قال الله -تعالى- رادا على ذلك: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

والشفاعة على قسمين: شفاعاة مثبتة وشفاعة منفية.

الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهي المنفية في قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾ [البقرة: ٢٥٤]، قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، وقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾ [المدثر: ٤٨]، وهي الشفاعاة الشريكية التي تطلب من المخلوقين بغير قيد ولا شرط.

الشفاعة المثبتة: وهي ما توافر فيها شرطان:

الأول: إذن الله للشافع كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].  
والثاني: الرضا عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].  
فقد جمع الله بين الشرطين في سورة النجم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِّن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)﴾ [النجم: ٢٦].  
فالشفاعة ثابتة بهذين القيدين وهذين الشرطين، إن لم يتحققا فإنها شفاعاة منفية.

ولعل الحديث عن الشفاعاة يطول لو أردنا أن نتحدث عن أقسامها، فلعله يُرجأ إلى وقت آخر إن شاء الله؛ لكن الخلاصة أن نفهم شروط الشفاعاة، وهو أنه لابد فيها من أمرين:  
إذن الله للشافع.

ورضاه عن المشفوع له بأن يرضى الله قوله وعمله.

هذه القاعدة تتطلب معرفة الشفاعاة المثبتة والشفاعة الباطلة المنفية.

وأضرب مثلاً لكم بجملتين متقاربتين إحداهما شفاعاة شريكية، والأخرى شفاعاة قائلها موحد تماماً، هما جملتان متقاربتان تتعلقان بالحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلو أن مسلماً قال: اللهم شفّع فيّ نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم ارزقني شفاعاة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم اشملني بشفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم لا تحرمني من شفاعاة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم اجعلني ممن ينتفع بشفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه الجمل ما حكمها؟ توحيد محض؛ لأنك طلبت الشفاعاة من الله وحده.

لكن لو أنّ واحدا وقف الآن - كما هو حال بعض الناس - عند القبر فقال: الشفاعة يا رسول الله. هذا شرك محض، لماذا؟ قلنا: إن كلمة (الشفاعة يا رسول الله) شرك محض، وقلنا: إن (اللهم شفّع فيّ نبيك) توحيد محض، لماذا؟ لأن الشفاعة التي ينطق بها أهل التوحيد، هم يطلبونها من الله سُبحانَهُ وَتعالى، أما أولئك يطلبونها من المخلوق، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستشفع به على أحد، ولا يستشفع من المخلوق على الخالق سُبحانَهُ وَتعالى.

لذلك يجب التنبيه، فالشفاعة لا تطلب من النبي مباشرة، وإنما تطلب من الله -تبارك وتعالى- هذا هو الأدب مع الله ومع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



### [المتن]

القاعدة الثالثة: أنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظهر على أناسٍ متفرّقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقتلهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يفرّق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾ [الأنفال: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

ودليل الملائكة، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا...﴾ [آل عمران: ٨٠].  
ودليل الأنبياء، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ودليل الصالحين، قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾ [الإسراء: ٥٧].

ودليل الأحجار والأشجار، قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

وحديث أبي واقد الليثي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: خرجنا مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشرّكين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال

لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث<sup>(١)</sup>.

### [الشرح]

هذه القاعدة العظيمة تبين أن باب الشرك واحد أيًا كان، كل ما يُتعلق به من دون الله، وكل ما صرف له أي نوع من أنواع العبادة يعتبر شركًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالذبح لغير الله، والنذر، والصلاة، والصوم، والحج، والإنابة، والاستغاثة، والاستعانة.. أي نوع من أنواع العبادة إذا صرف لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فإنه شرك بغض النظر عن المدعو، وسواء كان المدعو: نبيا، أو ملكا، أو عبدا صالحا، أو حجرا، أو شجرا، أو مدرا، أو أي مخلوق على وجه الأرض إنسانا كان أو حيوانا أو نباتا أو جمادا؛ لأننا نحن ننظر إلى وضعه بالنسبة للعباد، بغض النظر عن حال المعبود، أما المعبود قد كون نبيا أو ملكا أو عبدا صالحا بريئا ممن يعبد؛ ولكن بالنسبة لمن يعبد هو الذي تتعلق به الأحكام.

والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن دعا المشركين إلى عبادة الله وحده أكثر من خمسة عشر سنة، وبعد أن قويت شوكة المسلمين، عند ذلك قاتل المشركين جميعا، سواء كان منهم من يعبد الأنبياء أو من يعبد الملائكة أو من يعبد الأشجار أو من يعبد الرجال الصالحين، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، والقتال يكون بشروطه ومقوماته التي سبق أن أشرنا إليها أكثر من مرة؛ أعني الجهاد، لا بد أن تكون قد هيئت الظروف التي هيأها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لك ما تتمكن به مع الجهاد: من إذن ولي الأمر، وإذن الوالدين، والقوة والشوكة والمنعة والإخلاص لله وحده، وكون ذلك الجهاد لا يعود بأمر عكسي على الإسلام والمسلمين، وغلبة تحقق النصر، والاستقامة قبل ذلك كله على طاعة الله جل وعلا؛ لأن الخوف على المجاهدين من المعاصي أكثر من الخوف عليهم من هزيمة العدو؛ لأن المعاصي هي أكبر معول يؤدي إلى الهزيمة.

لذلك فإن الواجب على المسلم أن لا يأخذ فتاوى في هذا الباب إلا عن العلماء الربانيين -أعني في مسألة الجهاد- أما الغوغائية الموجودة الآن، وما يدعو إليه بعض الجهلة من جهاد مزيف، لا يقوم على إخلاص، ولا على شوكة، ولا على منعة، ولا على إذن إمام، ولا تحت راية التوحيد، هـذه

<sup>(١)</sup> سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم (٢١٨٠). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

فوضى، وأما تقتيل المسلمين وترويعهم وتسمية ذلك جهادا فإن ذلك إجماع أعظم إجماع على وجه الأرض، هذا الذي يفعله المجرمون الخوارج، الذين يستحلون دماء الأمة وأموالهم، ويتربصون بهم الدوائر، وكما قلت غير مرة: قدموا خدمة لليهود لم يقدمها اليهود لأنفسهم؛ يعني قدم هؤلاء أدعياء الجهاد المزيف الذي يذبحون المسلمين في كل مكان ويسمون ذلك جهادا، هذا جهاد في سبيل إبليس، ولا يخدم إلا الشيطان وأعوان الشيطان، فالجهاد لا بد له من الشروط والمقومات التي ذكرتها.

وقوله: **(قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾ [الأنفال: ٣٩].** بعد أن تنهياً جميع الشروط واللوازم والظروف التي يتمكن معها المسلمون من الجهاد، وإلا فالجهاد باقٍ إلى يوم القيامة؛ ولكن ليس الجهاد القائم لدى بعض الفئات والجماعات التي يفتيهم بعض الجهلة الذين أحدهم أجهل من حمار أهله ويتصدر للفتوى، وقد ورط شباب المسلمين فيما لا قبل لهم به، واستغل جهلهم وسذاجة بعضهم، واستغل بعد بعضهم عن علمائهم فصار يهرف بما لا يعرف، ويدعو الناس إلى جهاد ليس هو بالجهاد الذي أمر به الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا بد أن نتنبه لهذا الأمر حتى لا نقع في الخطأ، الفتوى لا تؤخذ عن أي شخص، وإنما تؤخذ عن العلماء الربانيين، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، الذين يدعون إلى هدي الكتاب والسنة، وليسوا الذين فقط يحكمون عواطفهم في الدين فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون.

أما دليل مسألة الشمس والقمر وأنه لا يسجد لهم، ويسجد إلا لله وحده، وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **(﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].** هو وحده المستحق للسجود، فلا نسجد لشيخ، ولا لصنم، ولا لوثن، ولا لولي، ولا لملك، ولا لني، ولا لأي مخلوق كان على وجه الأرض.

وأما دليل أن الملائكة يطاعون ولا يعبدون، قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **(﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠))** [آل عمران: ٨٠]، فالله أمركم باتباعهم لا باتخاذهم آلهة، **(﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١])**، دليل الملائكة قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾).**

ودليل تحريم التعلق بالأشجار والأحجار قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)﴾ [النجم: ١٩-٢٢])**، أي قسمة خاسرة، إذا قسّمتم فجعلتم لله الإناث ولكم الذكور، تعالى

الله عما يقولون علوا كبيرا، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾ [الزحرف: ١٩].

والخلاصة في هذه القاعدة أن كل ما عبد من دون الله من ذبح، أو نذر، أو صلاة، أو صوم، أو حج، أو إنابة، أو استغاثة، أو استعانة، أو استعاذة، أو خوف، أو رجاء، أو محبة.. كل ذلك يُعتبر عبادة لغير الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لا فرق بين أن يكون المعبود نبيا، أو ملكا، أو عبدا صالحا، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]، فهؤلاء الصالحون نجبهم ولكن لا نعبدهم ولا نصرف لهم شيئا من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله؛ لأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يجب إفراده بالعبادة، ولا تصح العبادة إلا إذا أُفردت لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بإخلاص العمل لله وحده، والافتداء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وتقريراته.



### [المتن]

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة. والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

### [الشرح]

هذه القاعدة تدل على أن مشركي الزمان الأول أهون شركا من مشركي هذه الأزمان، والكل شرك أكبر، ومع ذلك فالشرك دركات كما أن النار دركات وكما أن الجنة درجات، فالمشركون القدامى من عهد نوح إلى من بعث الله فيهم نبينا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم إذا كانوا في وقت الرخاء والأمن والطمأنينة يسجدون لأصنامهم ويدبحون لها وينذرون لها، وربما جاعوا فأكلوها، يعجن تمره ويجعلها إلها فإذا ما جاع أكلها؛ لكن إذا أَلَمَّتْ بهم الملمات ووصلوا إلى الضنك والشدة، فإنهم ينسون تلك المعبودات كلها، ويلجأون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾ [العنكبوت: ٦٥]، الفلك يعني السفينة، إذا ركبوا رأوا الرياح ورأوا الأمواج تذكروا

الله، فإذا نجاهم إلى البر رجعوا إلى غيِّهم وإلى عبادة غير الله.

بخلاف عباد القبور في هذه الأزمنة فإنهم يلجأون إليها في الشدة والرخاء معاً؛ بل إن لجوءهم إليها في وقت الشدة أكثر؛ بدعوى أنهم ينقذونهم من تلك الورطات التي هم فيها، ولذلك يقول قائلهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم فيكم بأصحاب القبور. وماذا يملك أصحاب القبور، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢)﴾ [فاطر: ٢٢].

إذن هؤلاء الذين يتعلّقون بالقبور في بعض البلاد الإسلامية تجدهم يتعلّقون بها حتى في أوقات الشدة، فإذا أصابهم ما أصابهم ذهب إلى ضريح فلان، وقال: مدد يا فلان، أغثني يا فلان، أعطني يا فلان، أنا في حماك يا فلان، أنا في رجائك يا فلان، وهذه الطريقة لا توجد حتى في الجاهلية.

إذن الأمر أخطر الآن بالنسبة لمشركي هذا الزمان، الأمر في غاية الخطورة؛ لأنه يصيبه رعب إذا وقف عند الشيخ، ولذلك أنا أظن أني ذكرت لكم مرة قصة ذلك الذي أرادوا أن يحلفوه في المحكمة على المصحف فحلف أيماناً مغلظة أنه ما سرق، ولما أرادوا منه الاعتراف أخذوه عند قبر الشيخ فأبى أن يحلف واعترف بالسرقة، بذلك فإن الشيخ في نفسه أعظم من الله تبارك وتعالى.

ولذلك يجب التنبيه لهذا، وننصح إخواننا الذين يقعون في هذه الأمور جهلاً منهم، أن ينصحوا بالتي هي أحسن، بالحكمة فالموعظة الحسنة، وينبهون إلى أهمية الارتباط بالله سبحانه وتعالى، والاعتماد عليه والتوكل عليه في كل شيء.

وبهذا نكون قد انتهينا من هذه القواعد الأربع، ولعلنا نستأنف كتباً آخر إن شاء الله، المشرح من أخلاق الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لفضيلة شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر إن شاء الله،

**سؤال:** هل يعذر الناس بالجهل في مسائل الشرك؟

**الجواب:** مسألة العذر بالجهل في مسائل الشرك لأهل العلم فيها قولان:

قسم يرون أن من كان في بلاد المسلمين أنه لا يعذر.

وآخرون يقولون: إذا لم تقم عليه الحجة، وتتضح له، وتوضح له، وتزال عنه الشبهة، فإنه يكون معذوراً عند ربه.

وأحيلكم على كتاب شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله الجديد بعنوان بشروط الصلاة تتطرق فيه إلى هذه المسألة، وتكلم فيه بما لا مزيد عليه، فهذه المسائل ترجعون فيه إليه وإلى غيره من علماء الأمة.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا

وإياكم ممن يسمع الكلام فيتبع أحسنه، وأن يتقبل منا وإياكم الصلاة والقيام، وأن يجعلنا من عتقائه في هذا الشهر الكريم، وإنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



## المحتويات

|    |                                                                                                                          |
|----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢  | مقدمة المؤلف .....                                                                                                       |
| ٧  | القاعدة الأولى: توحيد الربوبية وحده لا يدخل أحدا في الإسلام. ....                                                        |
| ١٠ | القاعدة الثانية: دعاء وتوجه المشركين لغير الله كان لطلب القرية والشفاعة .....                                            |
|    | القاعدة الثالثة: المشركين الذين ظهر فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين |
| ١٣ | والأشجار والأحجار والشمس والقمر.....                                                                                     |
| ١٦ | القاعدة الرابعة: مشركو زماننا أشد شركا من مشركي أهل الجاهلية .....                                                       |

